ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol. 6 No.1 2022

أسلوب الشيخ أبي الكلام أزاد في تفسير الفاتحة المسماة بأم الكتاب و منهجه في تفسير ترجمان القرآن

[1] – Niaz Rahat
[2]Dr. Sami Ullah Zubairi

ملخص

الحمد لله الذي جعل العلم فريضة على كل مسلم ورفع من شأن العلم والعلماء ، وأصلّي وأسلّم على المعلّم الأوّل للبشرية جمعاء محمد صلى الله عليه وسلم الذي أوتي جوامع الكلم وعلى خلفائه الراشدين وأهل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته الغرّ الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنّ الشيخ أبا الكلام آزاد قد فسّر سورة الفاتحة تفسيراً استوعب فيه جميع جوانب القران ، حتى إذا قرأ تفسيره أحد ، يحقّ له أن يدّعي أنّ الشيخ قد أثبت قول المفسرين في شأن سورة الفاتحة ، وهو أنّ الفاتحة خلاصة جميع ما في القرآن ، فنظراً إلى أهميته ، تضرّعت إلى الله أن يوفّقني لتقديم علمه القيّم إلى إخواننا الناطقين باللغة العربية ؛ ليستفيدوا من تراث شبه القارة الهندية الحافل بغرر الفوائد ودررالفرائد .

أعتقد كما ذكرت آنفا أنّ تراث شبه القارة الهندية يحتوي على العلوم ذات الفوائد ، وإخواننا العرب الذين يرغبون في الاستقاء من تراثنا ظماء إليه ، فهنا يظهر أهمية الترجمة ، لأنها الوسيلة الوحيدة لنقل الثقافات والحضارات، وقد تمّ نقل العلوم الكثيرة بهذه الوسيلة إلى اللغة العربية، وظلّت تراث الإسلام العلمي، فهي السبيل للوصول إلى أية ثقافة من الثقافات ، وقد نهضت الأمم بفضل هذه الوسيلة في حقل العلوم والدعوة .

كما أعتقد أنّ استخدام هذه الوسيلة الثمينة في أعظم العلوم وأعلاها، وهو علم التفسير لكلام الله عزّ وجلّ مهم جدا، لا سيّما تفسير سورة الفاتحة للشيخ أبي الكلام آزاد –رحمه الله– الذي تناول القضايا المطروحة الموافقة لمقتضيات العصر المعاصر.

أهمية البحث

حملنا على اختيار الموضوع أمور، منها :

- أنّ الترجمة من أيّة لغة إلى اللغة العربية أمر يحتاج فيه الباحث إلى ما يتعلّق بالأدب العربي من النحو والصرف والبلاغة و غير ذلك ، فهو يوافق تخصصي .
- قد سبقني من الباحثين إلى دراسة هذا الموضوع دراسة ترجمة وتعليق
- قد قدّم السلف من هذه المنطقة كثيراً من الجهد والوقت خدمة للأجيال الآتية في العلوم العديدة ، لاسيّما في علم التفسير ، فأرى من حقوقهم الاعتناء بتراثهم العلمي ، واخترنا من بينهم خدمة الشيخ أبي الكلام آزاد في تفسير سورة الفاتحة الذي سمّاه أمّ الكتاب ؛ لمايمتاز تفسيره هذا بالأسلوب الذي اختاره فيه .

أسباب اختيار أم الكتاب للشيخ أبي الكلام آزاد للبحث:

1– راحت نياز– طالب ماجستير الفلسفه في قسم للغة العربية جامعة العلاّمة إقبال المفتوحة إسلام آباد– باكستان.
من رسائله: رسالة فى شطرنج ورسالة إلى الكتاب ورسالته إلى أهله.

2– المؤلف المراسل والمشرف corresponding author,
Assistant Professor, Former in-charge department of Arabic
Allama Iqbal Open University (AIOU), Islamabad, Pakistan
Best teacher award by UNESCO 2013).
E Mail:sami.zubairi@aiou.edu.pk

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol. 6 No.1 2022

إنّ الشيخ أبا الكلام آزاد له حظ وافر في فهم القران وتفسيره ، وقد تأثّر من فكره العلمي والسياسي شعبُ شبه القارة الهندية آنذاك ، فكما أنّ شخصيته ممتازة عن غيره ، كذلك تفسيره لأم الكتاب يمتاز عن التفاسير الأخرى لسورة الفاتحة حيث ركّز على التدبّر والتعقّل، ووسّع جوانب كل كلمة من سورة الفاتحة التفسيرية التي لم يتعرّض لها أحد ؛ لذلك اخترتُ تفسيره .

أسلوب المؤلِّف في أم الكتاب :

شرح الشيخ أبو الكلام آزاد سورة الفاتحة بالبسط والتفصيل ، ولم يكتف بشرح الآيات تفسيراً ولغة بل ركّز على تبسيط معاني الكلمات، ألقى الضوء على القضايا والحوادث التي تتعلّق بالتاريخ. كما تحدّث عن آراء الفلاسفة والمباحث الفلسفية .

ترجمــة الشيخ أبي الـكلام أزاد(1958)

اسمه ونسبه

غلام محي الدين أحمد أبو الكلام آزاد –رحمه الله الواسعة– لا تحتاج شخصيته إلى أي مدح. كان الاسم الحقيقي لمولانا أبي الكلام أزاد محي الدين أحمد، وكنيته أبو الكلام، ولقبه أزاد. والده، محمد خير الدين، كان يناديه بفيروزبخت (اسم تاريخي). كان مولانا خير الدين وسيط نافر لعائلة هندية متعلمة. كانت الأم بنت في عائلة جد من المدينة المنورة. النسب يذهب إلى الشيخ جمال الدين الذي جاء إلى الهند من هرات خلال عهد بابر. استقر أولاً في أغرا ثم انتقل إلى دهلي. كانوا أشخاصًا ذوي أذواق فكرية. يكتب مولانا آزاد عن وضعه العائلي والقدرات الفكرية والدينية لأسلافه.

لقد ولد في مكةالمعظمة وتاريخ ميلاده مختلف. كان المنزل الذي ولد فيه مولانا آزاد في حي قدوة التابع لباب السلام. من نوافذها كانت مآذن الحرم وقاديلها مرئية.

وسمعت أصوات الأذان كما لو كانت تُؤذن على سطح هذا المنزل. مولانا أزاد يصف عيد ميلاده بـ «ذي الحجة 1355 الهجري[3] في «تذكرة » .

أثبت مالك رام تاريخ ميلاده الحقيقي من خلال فحص الأشخاص المقربين من مولاناأزاد من خلال مصادر موثوقة ومراجع حقيقية. يكتب ملخصة أن مولانا أزاد ولد في 17، 18 أغسطس 1888 الميلاد، أو في 22 أغسطس 1888 الميلاد ، على كل حال لم يحدث في 11 نوفمبر. هذا التاريخ غير صحيح بالتأكيد. الشيء الوحيد المؤكد هو أنه ولد في وقت ما بين 9 أغسطس و6 سبتمبر 1888 الميلاد، وتاريخ ميلاده ليس تاريخًا في 11 نوفمبر[4]

طلب العلم وشغله بعد التخرج:

بدأ مسيرته العلمية من بيته حيث تعلم من شيخ الحرم الحروف الهجائية ، وقبل أن يغادر مكة فإنه قد قرأ القرآن وحفظ منه سورا عديده ، ثم صار بيته في كلكته مدرسة ووالده مدرسا، وتخرج من المدرسة النظامية وهو ابن خمس عشرة سنة ، وحصلت على عدد قليل من الكتب بناء على طلب والدي المرحوم. وبما أن الفكرة القديمة في مجال التعليم كانت أن القدرة لا تنضج إلا إذا تم تدريسها، فقد أوكلت إلي دائرة من الطلاب وأصبح والدي المرحوم المعيل لنفقاتهم، وبدأت الطب لإكمال الفنون. كان قد قرأت القانون بنفسي وأدرس الطلاب المطول، ومير زاهد، وهداية ...[5]

من ناحية، كان مولانا آزاد يواصل تعليمه ومن ناحية أخرى، بدأ بالترجمة للقران جنبًا إلى جنب مع تعليم الطلاب الآخرين لتنمية قدرته التعليمية. لم تظهر كلماته في باقات بعد عام 1903، مما يشير إلى تخليه عن الشعر وبدأ في كتابة النثر. كانت المجلات والمجلات تحظى بشعبية كبيرة في ذلك الوقت وكانت جودتها عالية أيضًا، وبصرف النظر عن المناقشات السياسية، فقد كتبت هذه المجلات أيضًا مقالات حول القضايا الأدبية والاجتماعية والتاريخية والعلمية والاقتصادية، وهذه السلسلة مستمرة منذ زمن سير سيد[6]. كان مولانا آزاد مخلصًا جدًا سير سيد أحمد خان منذ البداية، فدخل مجال الصحافة بحماس كبير.

الخدمات العلمية والسياسية:

---

(3) كذا في تذكرة مولانا آزاد ، آزاد كى كهاني، إحالة على مولانا ابو الكلام آزاد لشورش كاشميري ص :22، مطبوعات چتان لاهور

(4) كذا قال شورش كاشميري في كتابه عن حياة مولانا ابي الكلام آزد ص :22،

(1) نقوش (آب بيتي نمبر) يون 1964م، ص: 1839

(6) غبار خاطر، مولانا أبو الكلام آزاد، مكتبة جمال لاهور، طبع 2005م، ص: 67

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol. 6 No.1 2022

بعد أن أنهى دراسته بدأ في قراءة الأدب الأردوي، وخلال هذه المطالعة جاءت بعض التصنيفات القصيرة لمرحوم سر سيد إلى يدي أبي الكلام، وأدى ذلك إلى اهتمامه بقراءة المزيد من كتبه و تصنيفاته ، وهكذا حدث تغيير فكري كبير في حياته، فبعد قراءةتصنيفاته لم يكن أبو الكلام مهتمًا بكتب سر سيد. بدلا من ذلك، أصبح الحب بعد التعرف على أفكار سر سيد، تحول مزاج مولانا آزاد نحو اكتساب العلوم الحديثة، وكانت الكتابة المبكرة لمولانا أبي الكلام آزاد هي تلك الملاحظة.

كانت أول كتابة منتظمة لمن كتب أثناء دراسة الكتاب أو على صحائف منفصلة هي الترجمة الأردية لمجلة قصيرة لجلال الدين السيوطي، «نور اللمعة في فضائل الجمعة». بعد ذلك قام مولانا آزاد بترجمة مجلة أخرى من السيوطي باسم «خصائص محمدية»، ونتيجة لهذا الاتجاه قام بترجمة العمل الشهير للإمام الغزالي «منهاج العابدين» في سن 12 أو 13 عامًا فقط في أواخر القرن التاسع عشر 1800، تولى مولانا آزاد رئاسة تحرير جريدة «المصباح» الأسبوعية، كانت لرجل يُدعى موسى.

عندما نضجت تجارب مولانا آزاد وملاحظاته ومطالعته أفكاره، فصارت أفكاره رشيدة و رصينة، وأصبح هدفه واضحًا له. كان ينوي حرق دمه الصغير للقتال من أجل حرية الهند، وتحقيقا لهذه الغاية، أنشأ «المطبعة الهلال»، وتحديدا لنشر مجلة حول ضرورة تعبيد الطرق العامة. صدر العدد الأول عام ١٩١٢ م، لذلك ثبت أنه أسد قاتل للحكومة البريطانية حيث كان يتمتع بشعبية كبيرة، لذلك تم فرض عقوبات لوقفه. تم الاستيلاء على «مطبعة الهلال» ومصادرتها من قبل الحكومة عام 1915، ولم يقتصر الأمر على تقييدها فحسب، بل تم إغلاقها عام 1919.

أطلق سراح مولانا آزاد في عام 1920، وبعد ذلك تم انتخابه رئيسًا للجنة الخلافة لعموم الهند، وفي عام 1924، تم انتخابه رئيسًا لمؤتمر وحدة دهلي. انتخب رئيسًا للمؤتمر الوطني الهندي عام 1940 وتولى هذا المنصب حتى عام 1946. وانضم إلى الحكومة الأولى للهند المستقلة بعد تقسيم الهند عام 1947 كوزير للتعليم وتولى هذا المنصب حتى وفاته في 22 يناير 1951. لذلك فإن مولانا آزاد هو مجال أدبي خاص، لذلك يجب على المرء أن يبحث عن خصائص فكره وفنه في هذا المجال بأسلوبه ونواياه لأنه كان كاتبًا أوردوًا عظيمًا.

معرفة تفسير ترجمان القرآن وخصائصه

في هذا المبحث تم ذكر أنواع مختلفة من تفسير القرآن، مثل تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالحديث، وتفسير القرآن بأراء الصحابة والتابعين، وتفسير القرآن لأهل الكتاب وكتبهم لنبدأ بالفئة الأولى:

تفسير القرآن بالقرآن:

إن تفسير ترجمان القرآن هو تفسير قصير كما ذكره أبو الكلام آزاد في المقدمة. على عكس المفسرين الآخرين، لم يفسر القرآن بأكمله، بل شرح معاني القرآن بأسلوب أدبي لذلك وفقًا للتفسير القرآني، فإن بعض الأمثلة على ذلك وردت في سورة البقرة وسورة ال عمران.

ولم يذكر الأماكن القرآنية في كل مكان في تفسيره، بل قلما يذكرها دعما للمعنى المستقل عنه، ولا بد من التوضيح من هنا أنه ذكر تفسير القرآن بالقران بالتفصيل في سورة الفاتحة، ولكن في تفسيره كله كثيرا ، لم يكرره في بعض الأماكن.

على سبيل المثال، فسر أبو الكلام آزاد هذه الآية « وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ»[7] في نهاية سورة البقرة بهذه الآية « الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِم»[8] وهكذا في مكان أخر جاء بهذه الأية « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ»[9].

مثال آخر لتفسير القرآن بالقرآن هو تفسير سورة ال عمران «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » بهذه الأية« وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تفلحون» [10].

تفسير القرآن بالحديث:

لقد رأينا العديد من التفاسير الذي يفسر فيه المفسرون من القرآن والحديث، وأبرزها الإمام الطبري وابن كثير والسيوطي، إلخ. تمتلئ تفاسيرهم بأحاديث وأقوال الصحابة.

لكن مولانا آزاد لم يذكرها في المقدمة ذكر الأحاديث في تفسيره، ومع ذلك فقد أوضح منهجية السلف الصالحين وأصحاب النبي في أهمية التفسير في مقدمة التفسير.

(7) البقرة: 228
(8) النساء: 34
(9) الأحزاب: 35
(10) ترجمان القرآن، مولانا أبو الكلام آزاد، مكتبة إسلاميات لاهور، طبع 2005م، ص: 339

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol. 6 No.1 2022

الأمثلة للتفسير بالحديث

وفي آخر سورة البقرة حديث صحيح في كلمة «التقوى»، لكن مولانا آزاد يروي معنى هذه الكلمة من خلال تأثيرها، عن أبي ابن كعب: ولما سئله عمر عن معنى «التقوى» قال إنك لم تمشي على درب مليء بالأشواك؟ قال: بلى، قال: ماذا فعلت؟ أجاب: أكافح بشدة. قال: هذه تقوى.

الصفحة الأولى من تفسير سورة الفاتحة تدل على موقف أبو الكلام آزاد من تفسير القرآن بالسنة حيث ذكر فضائل سورة الفاتحة وأسماء صحيح البخاري وصحابة سنن عن طريق سعيد بن أبي معالي« الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقران العظيم الذي أعطيته»[11]

ثم يروي تفصيل هذه الرواية عن الإمام مالك وسنن الترمذي وابن أبي حكيم عن أبي هريرة. وبنفس الطريقة، يذكر حكم السندات المنقطع عن أبي مسعود، ثم يذكر إسناد نفس الحديث متصلا وهو إسناد ابن عباس، وهذا الحديث حسن وصحيح . ثم يضمه بطريقة أخرى عن أبي العلي على القارئ أن يعلم أن كل هذه الأساليب جمعت في المجلد الثاني من كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري المجلد الثاني[12] .

تفسير القرآن بالآثار

في مصادر التفسير الآثار هي المصدر الرئيسي، وتحت هذا المصدر تأتي أقوال الصحابة وأتباعهم. وقد اعتبر المفسرون غنيمة أن يذكروا في شروحهم مقتضيات القرآن الكشف عن وجوه المعاني عن أسرار التاويل وبيان التفسير. في تفسير ترجمان القرآن، نجد أن أقوال التابعين الذين تكون أقوالهم حجة تميل إلى المجاهد والقتادة وما إلى ذلك، لكنها لا تذكر المصادر ولا الأقوال التي تصلح في تفسير الآيات ولكنها في بعض الأحيان تفعل ذلك.

الأمثلة لتفسير القرآن بالآثار

يفسر أبوالكلام ازاد الأية المذكورة هكذا «الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون...[13]» الفئة الأولى للمؤمنين والثانية للكفار والثالثة للمنافقين.

تفسير القرآن براوايات أهل الكتاب وكتبهم:

من الحقائق المعروفة أن أهل الكتاب كانوا يعرفون الكثير عن الأنبياء، وأهم ما جاء في القرآن، وهو القرآن، أعلن بصراحة:«يحرفون الكلم عن مواضعه»[14]ولنا سلطان على ما كانوا يقاتلون ويختلفون معه، وعندما وصلتهم المعرفة أخفوها من أجل حب العالم بسبب الشر في قلوبهم. كثيرا ما يستشهد أزاد بالتوراة والإنجيل في تفسيره، وهناك العديد من الأمثلة على ذلك.

الأمثلة لتفسير القرآن بروايات أهل الكتاب وكتبهم

يذكر المؤلف العبارة من توراة تحت هذه الأية المباركة « قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهم » اسم الرجلين اللذان ذكرا اسمهما «يوشع و كالب».

منهجه في التفسير[15]

سلك في تفسير القرآن مسلك تفسير القرآن بالمأثور، مجتنبا عن التفسير الإشاري؛ لأنه يعلم من ردّه على تفسير الإمام الرازي «التفسير الكبير» وتبرّئه من المتكلمين.

لا يقتدي بالمجدد ألف ثاني، ربما لسلوكه مسلك التصوف ، وتأثر بالإمام الرباني لأنه ردّ على مفاسد المجتمع ، فالإمام أحمد بن حنبل والإمام ابن تيمية أقرب إليه من ابن العربي وسفيان الثوري.

وقال أبو الكلام آزاد في التذكرة ...

لايحتاج إلى تصفح التفسير البيضاوي والبغوي في فهم القرآن، بل يجب أن تحمل القلب السليم وعشق جبرئيل.

لم يكتف بالتفسير بالرواية فقط وكذا لم يقتصر تفسير على الرأي والعقل بل أخذ من النقل ورد على فلسفة اليونان، لأن الحكمة هي المعارف النبوي لا حكمة اليونان[16].

وزّع تفسيره على القسمين:

(11) أم الكتاب لمولانا أبي الكلام آزاد، ص : 1
(12) المرجع السابق، ص: 308
(13) البقرة : 3
(14) ترجمان القرآن، ص: 419
(15) مولانا ابو الكلام آزاد لشورش كاشميري، ص :305-310
(16) قال السيد سليمان الندوي في الكتاب : مولانا ابو الكلام آزاد ، لشورش كاشميري ، ص :311

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol. 6 No.1 2022

القسم الأول : تفسير سورة الفاتحة المسمى بتفسير أم الكتاب

والقسم الثاني : من البقرة إلى سورة الأنعام

القسم الأول هي مجاله العلمي التفسيري، ويظهر عبقريته العلمية في هذا القسم، لأنه شرح وبسط فيه مما يتعلّق بخلق الارض والكون والربوبية والرحمة أكثر مما في الحكمة في مخلوقات الله للغزالي و مفتاح دار السعادة لابن القيم يقول سجاد على أنصاري [17]:

أخبر مولانا ابو الكلام آزاد المتنورين بأن القران لا يختص بالعبادة والغسل، بل فيه حقائق دقيقة عن خلق الكون.

ويقول الدكتور ذاكر حسين [18]: تفسير سورة الفاتحة درّة أدبية في اللغة الأردية، وذكر في بداية المجلد الأول من التفسير قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه :« أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِنْ قلتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ» فلقد راعى قول أبي بكر في تفسير كمال رعاية .

نماذج من ترجمة أم الكتاب

سورة الفاتحة إجمال لجميع مبادئ الدين الحق

يكتشف من إمعان النظر في معاني هذه السورة أنَّ النسبة بين الفاتحة وبين باقي القرآن كالنسبة بين الإجمال والتفصيل فأجمِل في الفاتحة ما ذكر في القرآن مفصلا ، فإن لم يستطع أحد أن يدرس القرآن مستوعبا لكنه استطاع أن يتعرّف على معاني الفاتحة التي هي إجمال ما فُصِّل في القرآن – فإنه يتمكن على معرفة مبادئ الدين الحق والعبودية و مطالب القرآن الرئيسة .

وكذلك يكتشف من إمعان النظر في الفاتحة أنّ أسلوبها دُعائي ، وجعلت جزءا لازما للعبادة اليومية ، حتى بدت مزاياها ، وبرز منه سرّ الإجمال والتفصيل بين الفاتحة والقرآن وهو أن الهدف أن يكون لمطالب القرآن موجز بأسلوب بسيط يقدر كل واحد على استظهارها حتى يعيدها في الأدعية والعبادات دائما وتكون دستورا لحياته الدينية وموجز لأصول العبودية ووجهة النظر لتصوراته الروحانية ، وأشير إلى هذه المزية حينما أطلق عليه السبع المثاني أي ما أخبئ سرّ تكرارها الدائم وقراءتها مرة بعد أخرى إلا في نزولها ، مهما كان الرجل أميا وجاهلا لن يتقاصر فهمه عن معانيها البسيطة، وصدره عن وعي سطور عديدة ، إن لم يتمكن أحد من قراءة شيء من القرآن سوى الفاتحة يستطيع أن يتعرف على الدين الحق ، لذلك كُتب على المسلمين تعلمها وقراءتها ، ولم يعيّن لدعاء الصلاة غيرها ، كما قال النبي عليه السلام : «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب» [الصحيحان][19]، لذلك كان الصحابة يسمونها بـ«سورة الصلاة» يعني السورة التي لا تجوز الصلاة إلا بها ، إذا درس أحد القرآن يزداد علما وبصيرة لكن لا يمكن الأقل من سورة الفاتحة لفهم الدين .

الحمد لله

الحمد : معناه في اللغة العربية الثناء باللسان على الجميل، أي الوصف بالجميل، فإذا ذُمّ أحد لا يسمّى حمدا، والألف واللام في «الحمد» إمّا للاستغراق أو للجنس، فمعنى الحمد لله : ما من حمد وثناء إلا لله سبحانه وتعالى، إذ ما مِن حُسن وكمال إلا من الله أو في الله، فهو مصدره وإليه مرجعه، فإذا كان الحُسن فيه فكيف لا يستحقّ المحبة ، وإذا كان محمودا فكيف يسكت اللسان عن حمده.

آئينه ما روى تر عكس پذير است

گر تو نه نمائى گنه از جانب مانيست

(17) مولانا ابو الكلام آزاد ، لشورش كاشميري ، ص :312
(18) مولانا ابو الكلام آزاد ، لشورش كاشميري ، ص :314
(19) لم يوجد بهذا اللفظ في الصحيحين وإنما في الصحيحين بلفظ «لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ» في البخاري : (756) ومسلم : (394)

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol. 6 No.1 2022

معناه : أن مرآتي تصلح لرؤية صورتك ، فإن كنت لا ترى صورتك فيها فهو ليس مني. بدأت السورة بالحمد لله ؛ لأن أوّل ما يقوم به السالك الصادق في العرفان الإلهي هو حمده ، يعني أنّ الطالب الصادق للعرفان الإلهي إذا عرف الله، يطرأ عليه من المشاعر والعواطف ما عبّر عنه ههنا ب«الحمد لله» .

والسبيل إلى معرفة الحق هو ما نطق به القرآن الكريم وهو التدبّر والتفكّر في خلق الكون، فالنظر في المصنوع يؤدّي بك إلى الصانع . قال سبحانه وتعالى :

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ(20)

على سبيل المثال : الطالب الصادق الذي يخطو خطوة أو خطوتين في سبيل العرفان الإلهي ويتدبّر في خلق السماوات والأرض فماذا يسبقه من المشاعر والأحاسيس في النفس؟ يشعر أن وجوده ووجود كل شيء مظهر صنعة صانع حكيم ومدبّر قدير، ويظهر آثار الربوبيّة والرحمة في خلق كلّ ذرّة.فيمتلأ روحه وجسده من حمده وجماله سبحانه وتعالى، ويقول «الحمد لله رب العالمين» من غير اختيار، كل المحامد والثناء ليست إلا لمن هو منبع الرحمة والفيض ، ومرجع الحسن والجمال في كل صنعة .

الربوبيّة المعنوية

ومن أعجب جوانب الربوبيّة جانب الربوبيّة المعنويّة، كم يُتّخذ من المعدّات للعيش والتربية، لكن إنْ لم يكن في الحيوانات القدرة المستقيمة للاستفادة منها، وومساعدة القوى الظاهرة والمعنوية، لا تغني عنها شيئا، وما ترى من التشكيل الظاهري والمعنوي الذي خلق كلّ شيء به بحث يناسب كلّ القوى مقتضيات التربية، وجميعُ القوى يعينُه في حياته وتنشئته، فهو من فيوضات الربوبيّة، ويستحيل أن يتشكّل مخلوق وقواه مخالفا لمقتضيات تربيته، ففي هذا الإطار ما انكشف من الحقائق بالتدبّر والمشاهدة أمران رئيسان : الهداية ، والقدر، وصرّف الله سبحانه وتعالى الآيات فيهما.

القدر

فالقدر معناه : مقدار الشيء وحالاته المقدّرة، أي أن يقدَّر شيء على حالته المخصوصة كمّا كان أو كيفا، فبالتالي قدّر الله سبحانه وتعالى التشكيل الظاهرى والقوى المعنوية لكلّ شيء بقدر مخصوص لا يمكن الإنكار عنه، وهذا القدر هو ما يناسب ظروف حياته و أوضاع تنشئته.

---

(20)آل عمران : 191 قال الرشيد رضا في تفسير المنار : (245/4) وخص أولي الألباب بالذكر مع أن كل الناس أولو ألباب ; لأن من اللب ما لا فائدة فيه، كلب الجوز ونحوه إذا كان عفنا، وكذا تفسد ألباب بعض الناس وتعفن، فهي لا تهتدي إلى الاستفادة من آيات الله في خلق السماوات والأرض وغيرهما.
وإنما سمي العقل لبا؛ لأن اللب هو محل الحياة من الشيء، وخاصته وفائدته، وإنما حياة الإنسان الخاصة به هي حياته العقلية، وكل عقل متمكن من الاستفادة من النظر في هذه الآيات والاستدلال بها على قدرة الله، وحكمته، ولكن بعضهم لا ينظر، ولا يتفكر، وإنما العقل الذي ينظر، ويستفيد، ويهتدي هو الذي وصف أصحابه بقوله - تعالى -: الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم والذكر في الآية على عمومه لا يخص بالصلاة، والمراد به ذكر القلوب، وهو إحضار الله - تعالى - في النفس وتذكر حكمه، وفضله، ونعمه في حال القيام، والقعود، والاضطجاع، وهذه الحالات الثلاث التي لا يخلو العبد عنها تكون فيها السماوات، والأرض معه لا يتفارقان، والآيات الإلهية لا تظهر من السماوات والأرض إلا لأهل الذكر، فكأين من عالم يقضي ليله في رصد الكواكب فيعرف منها ما لا يعرف الناس، ويعرف من نظامها، وسننها، وشرائعها ما لا يعرف الناس، وهو يتلذذ بذلك العلم ولكنه مع هذا لا تظهر له هذه الآيات ; لأنه منصرف عنها بالكلية.
ثم إن ذكر الله - تعالى - لا يكفي في الاهتداء إلى الآيات، ولكن يشترط مع الذكر التفكر فيها، فلا بد من الجمع بين الذكر، والفكر، فقد يذكر المؤمن بالله ربه، ولا يتفكر في بديع صنعه، وأسرار خليقته ; ولذلك قال: ويتفكرون في خلق السماوات والأرض.
أقول: قد يتفكر المرء في عجائب السماوات والأرض، وأسرار ما فيهما من الإتقان، والإبداع، والمنافع الدالة على العلم المحيط، والحكمة البالغة، والنعم السابغة، والقدرة التامة، وهو غافل عن العليم الحكيم القادر الرحيم الذي خلق ذلك في أبدع نظام، وكم من ناظر إلى صنعة بديعة لا يخطر في باله صانعها اشتغالا بها عنه، فالذين يشتغلون بعلم ما في السماوات والأرض هم غافلون عن خالقهما، ذاهلون عن ذكره، يمتعون عقولهم بلذة العلم، ولكن أرواحهم تبقى محرومة من لذة الذكر ومعرفة الله - عز وجل -.

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol. 6 No.1 2022

وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا(21)

أتساءل : لماذا يلائم دائما حالة كلّ مخلوق البيئة التي يعيش فيها؟ ولماذا لا تتغيّر هذه السّنّة الإلهية في وقت ما؟ ولماذا يماثل كلّ مخلوق بتشكيله الظاهري والمعنوي ما حوله؟ ولماذا كما تكون البيئة كذلك يكون المخلوق فيها؟ الجواب : هو قدر الحكيم القدير الذي قدَّر لكل حيٍّ قدرا بل لكل شيء، و هذه السّنّة ليس للحيوانات والنبات فقط بل لجميع ما في الكون، حتى ما يجري في الفضاء من الكواكب أيضاتابعة لهذه السّنّة...

وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (22)

فالمطابقة بين الخلائق وبين ما حوله نظام جعل بينهما المناسبة، وجميع الخلائق في الكون يتوفّر في ما حوله كلّ ما يحتاج إليه من مقتضيات التربية. فالطير يطير، والسمك يسبح، والدّابة تدبّ، وحَشاش الأرض تهِمّ؛ وذلك لأنّ البيئة التي تعيش فيها الخلائق توافق تشكيل جوارحها، وكذلك جوارحها تحتاج إلى بيئة تعيش فيها، فالطير لايولد في البحر، لأنّ بيئة البحر لا تلائمه، ولا يولد السمك في البرّ، إذ البرّ لا يوافقه، لو ذهب أحد من الخلائق من بيئته المخصوصة إلى بيئة أخرى تموت فيها أو يتحوّل تشكيل أجسامها و طبائعها إلى تلك البيئة التي تليق بها.

الخاتمة

الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأن وفقني لإتمام هذا البحث. وأسأله عزوجل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، و يستفيد منه طلاب العلم والناطقين بالعربية، ويجعله وسيلة نجاحي في الدنيه والآخرة.

التوصيات

وفي الختام أوصي الطلاب الباحثين ما يلي :

1. توجد ترجمة الكتب إلى اللغة العربية كثيرة جدا، ولكن هناك حاجة لترجمة التراث العلمي و الديني، ليستفيد منه الفصل الناطق بالعربية.
2. الترجمة فن لا يتقنه جميع المترجمين؛ لأن الترجمة من لغة إلى لغة تقتضي أن يكون المترجم موهوبا باللغتين، وخصوصا باللغة المترجمة إليها.
3. الترجمة والعناية بهذا الفن قد ورثنا من أجدادنا منذ عهد الخلفاء العباسيين حيث قام ابن المقفع كاتب فارسي بهذه المهمة الكبرى على يد خليفة عباسي و نقل ابن المقفع وأصحابه حظا غزيرا من الكتب الفارسية واليونانية إلى اللغة العربية، فكأنها من أصل العربية.

---

(21)الفرقان: 2 المعنى أنه أحدث كل شيء إحداثاً مراعي فيه التقدير والتسوية ، فقدّره وهيأه لما يصلح له ، مثاله : أنه خلق الإنسان على هذا الشكل المقدّر المسوّى الذي تراه ، فقدّره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا ، وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدّرة بأمثلة الحكمة والتدبير ، فقدّره لأمر مّا ومصلحة مطابقاً لما قدر له غير متجاف عنه ، أو سمي إحداث الله خلقاً لأنه لا يحدث شيئاً لحكمته إلاّ على وجه التقدير من غير تفاوت ، فإذا قيل : خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك : أحدث وأوجد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق ، فكأنه قيل : وأوجد كل شيء فقدّره في إيجاده لم يوجده متفاوتاً . وقيل : فجعل له غاية ومنتهى . ومعناه : فقدّره للبقاء إلى أمد معلوم.. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،(268/3)

(22) يس : 38 (تجري إلى مستقر لها) وقرأ ابن مسعود : (لا مستقرّ لها) أي : لا تزال تجري لا تستقرّ ....(ذَلِكَ) الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الأفهام في استنباطه ، ما هو إلا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور ، المحيط علماً بكل معلوم . الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،(19/4)

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol. 6 No.1 2022

4. واجب طلبة العلم والمحققين أن يخرجوا الجواهر العلمية التي ملأت بها ذخائر الكتب المتقدمة قبلنا و كتب التراث العلمي بالغزارة العلمية.

النتائج

استنجت في ضوء ما قرأت من مباحث سورة الفاتحة التي عالجها الشيخ أبو الكلام آزاد، فوجدتُ من خلالها ما يلي :

1. إنّ الشيخ أبا الكلام آزاد قد قام بتبسيط المعاني حيث استوعب جميع جوانب القرآن ، فأثبت أنّ الفاتحة ملخص ما ذكر في القرآن بالبسط والتفصيل .
2. ألقى الضوء على معنى الحمد وحقّق لفظ الجلالة ''الله'' كما بسّط معنى الربّ ، فشرح معنى الرب لغة، وأثبت الموافقة بين المعنى اللغوي وما يتصرّف في الكون، فهو ربّ الكون جميعا ، وقسم الربوبيّة إلى المعنوية والظاهرية .
3. شرح معنى الرحمة تحت قوله تعالى : الرحمن الرحيم ، فبناء الكون وجماله حتى دماره أيضا من رحمة الله.
4. وضّح معنى الأجل ، فكلّ تغيّر يبلغ إلى مدة معينة.
5. وكذلك وزّع المباحث المذكورة في سورة الفاتحة إلى مباحث فكرية تاريخية وفلسفية مثل مسئلة القدر والبعث والجزاء.
6. لم يسلك أبو الكلام في تفسيره لسورة الفاتحة مسلك المفسّرين ، فتفسيره هذا ممتاز عن التفاسير الأخرى ؛ لأنه ركّز على التدبّر والتعقّل في الكون، ولم يتعرّض لأقوال المفسّرين كما هو دأب المفسرين.